

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### حَسْمُ الْمُرْكَةِ حَوْلَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ

لقد ناقش المحقق الخوئي التفاسير العشرة المطروحة حول «الأحرف السبعة» تماماً ثم نبذ كافة الروايات بهذا الشأن هاتفاً بأنها بكلية بحثة، ثم استنتج أن القرآن قد نزل بطور موحد وإنما الاختلاف قد سببه الرواية لدى سرد الآيات.

ولكننا نستغرب كيف نهل المحقق الخوئي عن اليقاب الشيعية التي قد استذكرت أيضاً روایات «الأحرف السبعة» فإنما قد عثرنا على كتلة منها بأسانيد سليمة بل حتى لو سلمنا هزالة سندتها وافتراضناها بكلية و لكن لو توالت لدى البكريه ثم تناقلته الشيعة أيضاً بلا سند أو بسند ذي مجاهيل لسبب لنا الاطمئنان و الركون إليها حتماً.

ولهذا سنفسرها في كل رواية بأسلوب متعارف وفقاً لظهورها – لا بمعنى موحد كما زعموهـ فاما ماك الان تلك الروايات مع تفسيرها الأنثيق والأوقق:

1. معنى البطون: «عن حماد بن عثمان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الأحاديث تختلف عنكم قال: إن القرآن نزل على سبعة أحرفٍ و أدنى ما للإمام أن يفتري على سبعةٍ وجوهٍ، ثم قال: «هذا عطاونا فامتنُ أو أمسك بغير حسابٍ» [1] فإن الأحرف هنا تعني «البطون» فحسب، إذ قد عرفنا المقاييس الأساسية لدى الاختلاف فأرجعنا فيه إلى أوجه القرآن المتعددة ثم الحق شأن الروايات بالبطون السبعة القرآنية أيضاً فجعلهما باوزن موحد بحيث إن الرواية ستتمتّع ببطون سبعة أيضاً بمحاذاة القرآن الكريم تماماً.

2. معنى اللهجات: «محمد بن علي بن الحسين في كتاب الخصال عن محمد بن علي ماجيلويه (وقد ترحم عليه الصدوق) عن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن محمد بن هلال (العتبرائي) عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني آت من الله فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت يا رب وسع على أمتي ف قال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت يا رب وسع على أمتي ف قال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف» [2] ولا يجرح سند الرواية نتيجة وجود «عتبرائي» إذ قد استدركتها الشيخ الصدوق ضمن الخصال بعدة أسانيد قيمة أيضاً.

فبالنّالي إن ظاهر «الأحرف» هنا هي اللهجات العربية جزماً، فرغماً أننا قد خاصمنا مسبقاً تفسيرها «باللهجات» وفقاً للمحقق الخوئي ولكن في هذه الساحة:

– جرياً مع الظهور البارز فيها فقد فسرناها باللهجات حتى لو تكاثرت و امتدت إلى عصرنا الحالي.

- وأنها لا تنقض الغرض و المراد الجدي أساساً.

- و اتخاذًا لسعة مطالبة الرّسول الأكرم - أي التّوسيع على الأمة -.

3. معنى الأقسام و التّبويب: «حَدَّثَنَا جَعْفُرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ قُولُوْنِيُّ الْجُعْدِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعْدُ الْأَشْعَرِيُّ الْقُمِّيُّ أَبُو الْفَاسِمِ رَحْمَهُ اللَّهُ وَ هُوَ مُصَنَّفُهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي النَّعْمَاءِ وَ الْأَلَاءِ وَ الْمَجْدِ وَ الْعِزَّ وَ الْكَبْرِيَاءِ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَ عَلَى أَلِيِّ الْبَرَّةِ الْأَنْقِيَاءِ رَوَى مَشَايِخُنَا عَنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَ قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٌ كَافٌ أَمْرٌ وَ زَجْرٌ وَ تَرْغِيبٌ وَ تَرْهِيبٌ وَ جَدَلٌ وَ قِصَصٌ وَ مَثَلٌ». [3] فإنّ الأحرف المزبورة قد تمّ تبويتها من باب الأهمية و العنوانين الغالبة في القرآن الكريم لا من باب التّحديد كي يُستظهر مفهوم العدد فتتصادم مع الرواية الدالة على حرف واحد.

و أمّا الروايات التي قد كذّبت الأحرف السبعة و نسبتها إلى أعداء الله في الحقيقة قد كذّبت «القراءات السبع» قائلة: «عَلَيْ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَذِيَّنَةَ عَنْ أَفْضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ كَذَبُوا أَعْدَاءُ اللَّهِ وَ لَكُنَّهُ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِّنْ عِنْدِ الْوَاحِدِ». [4]

في التالي إنّ الرواية قد حاربت المحرفين لكتاب لأنّهم قد استشهدوا بمختلف القراءات لتبرير مروياتهم و لتفسير «الأحرف السبعة» و لكن الإمام قد صدّ تفسيرهم الزائف لا أنه قد استنكر أصل الرواية - حول السبعة - فإنّها مأثورة بتّاً - خاصةً و عامّةً - و لهذا حينما نترصد الأعظم نراهم يفتون بتواتر قرائة واحدة واقعاً قد تلاها جبرائيل بذلك التّحّو، و لهذا لم يمض المعصومون تواتر بقية القراءات و إنّما قد أجازوا ظاهراً أن نقرأ وفقاً يقرأ الناس لا بوصفه قرآناً متزاًًاً حقيقة فإنه موحد.

و في غضون هذه النقاشات سنمرّ على وجهة نظر المحقق الحائر أيضًا قائلاً:

«و روی هذا الحديث من طريق الخاصة أيضًا ... فلامجال للخشة في صدور هذه العبارة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم (مضاداً للمحقق الخوئي) بل ادعى توادرها عنه صلّى الله عليه و آله و سلم، لكن دعوى دلالتها على ما هو المدعى من جواز قراءة القرآن بالهياكل المختلفة والحركات المختلفة، ممنوعة جداً ... إنّ الأحرف ظاهرة في اللغات، فالمعنى أنّ القرآن نزل على سبعة لغات، فإنّ لهجة طوائف العرب مختلفة عند التّكلم بكلمة واحدة، فطائفة منهم ينطقون بالكاف مكان الجيم، فيقولون الحَكَر مكان الحَجَر، وطائفة ينطقون بالميم مكان لام الجنس كالسائل منهم في مقام السؤال عن جواز الصوم في السفر: أ من م برّم صيام فم سفر». [5]

[1] الخصال: ٤٢/٣٥٨، تفسير العياشي، ج ١، ص: ١٣، البحار ج ١٩: ٢٢ و ٣٠. البرهان ج ١: ٢١- ٢٢ و تنكب الشيء: تجنبه.

[2] تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. 6. Vol. 164 قم، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

[3] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٠، ص: ٩٨.

[4] كليني محمد بن يعقوب. الكافي (اسلامي). 2. Vol. 630 تهران - ايران: دار الكتب الإسلامية.

[5] و سنستحضر هنا تتمة تحقيقته قائلاً: «و كيف كان فالكلام في المقام يقع في امور ثلاثة الاول في فقه هذين الخبرين وان المراد مما ذكر فيهما من سبعة احرف هل هو الاقسام التي ذكرها امير المؤمنين عليه السلام فيما رواه الاصحاب عنه عليه السلام، من قوله عليه السلام ان الله تبارك و تعالى انزل القرآن على سبعة اقسام كل قسم منها كاف شاف ، وهي امر و زجر و ترغيب و ترهيب و جدل و مثل و قصص ، او المراد منه هو انه كما ان في القرآن عاما و خاصا مطلقا و مقيدا ناسحا و منسوبا فكذا في احاديثنا ، وليس المراد من سبعة احرف ما ذكر من الاقسام المذكورة الثاني فيما فرعه الامام عليه السلام في خبر حماد عليهذه العبارة من قوله عليه السلام و ادنى ما للامام ان يفتى على سبعة وجوه الثالث في الجمع بين هذين الخبرين المصرحين بان القرآن نزل على

سبعة احرف ، ومادل من الاخبار على ان القرآن نزل على حرف واحد من عند واحد ، كخبر زرارة عن ابيجعفر عليه السلام انه عليه السلام قال ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الروايات، و خبر الفضل بن يسار قال قلت لا يعبد الله عليه السلام ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة احرف فقال عليه السلام كذبوا اعداء الله و لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد.

اما الكلام في فقه ما في الخبرين المصرحين بان القرآن نزل على سبة احرف، فنقول اما الخبر المروى عن حماد ، فالظاهر عدم كون المراد من سبعة احرف المذكورة فيه هو الاقسام المذكورة ، اما عدم كون المراد من سبعة احرف الاقسام التي ذكرها امير المؤمنين عليه السلام، فلان السؤال فيه وقع عن وجه اختلاف الاحاديث المروية عنهم عليه السلام، فالمناسبة بينه وبين الجواب بقوله عليه السلام ان القرآن نزل على سبعة احرف وتفریعه عليه السلام قوله عليه السلام و ادنى ما للامام ان يفتى على سبعة وجوه، تقتضي كون المراد من سبعة احرف، هو ما ورد في بعض الاخبار من ان للقرآن ظهرا وبطنا و لبطنه بطننا الى سبعة ابطن، فانه اشارة الى ما للحكام من الاختلاف بحسب اختلاف اقتضاء مصلحة الوقت، فانها تارة تقتضي في وقت جعل حكم الموضوع على نحو الاطلاق، واخرى جعل ذلك الحكم او حكم اخر لذلك الموضوع مقيدا بقيود ثلاثة لذلك الموضوع مقيدا بقيد اخر ايضا و هكذا، فاما كان ظاهر القرآن حكما عاما اقتضته مصلحة الوقت، و اريد منه في الباطن الخاص اذا اقتضته مصلحة وقت اخر ، والاخص فيما اقتضته مصلحة وقت ثالث، والاخص من الاخص فيما اقتضته مصلحة وقت رابع و هكذا، فحيث ان علم هذه المرادات الباطنية الطويلة مختص بالامام عليه السلام و تكون نفسها مودعة عنده ليحكم بها عند اقتضاء مصلحة الوق» (كتاب الصلاة للشيخ عبد الكريم الحائرى ج ١ ص ٥١٤-٥١٧)